The phenomenon of substitution according to Al-Akhfash Al-Awsat in his book (The Meanings of the Qur'an) in the light of modern linguistics

Dr. Ibrahim Ali Salman
Tikrit University / College of Education Tuz Khurmatu
E-mail: ib1989im@tu.edu.iq

Abstract:

This research sheds light on the phenomenon of substitution as a morphological phonetic phenomenon according to Al-Akhfash Al-Awsat, and how he explained this phenomenon in light of his chapter on the meanings of the Holy Qur'an as stated in his book. This phenomenon is one of the common and widespread phenomena among the vast majority of linguists who have been exposed to the Qur'anic word. There is no talk about the virtue of A verse or an explanation of its meaning without mentioning the phenomenon of substitution.

This research falls into three main axes. The third axis represents the applied models that came in the book Meanings of the Qur'an by Al-Akhfash Al-Awsatin. The researcher stops at this axis through contemporary phonetic analysis.

Key words: substitution, linguistics, Al-Akhfash, meanings of the Qur'an.

ظاهِرَةُ الْإِبْدَالِ عِنْدَ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ فِي كِتَابِهِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) فِي ضَوْءِ اللِّسَانِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ

م.د. إِبْرَاهِيمُ عَلِيٍّ سَلْمَانَ
جَامِعَةُ تَكْرِيتَ / كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَّةِ طُوزْخُورْمَاتُو
E-mail: ib1989im@tu.edu.iq

الملخص:

يُسَلِّطُ هٰذَا الْبَحْثُ الضَّوْءَ عَلَىٰ ظَاهِرَةِ الْإِبْدَالِ كَظَاهِرَةٍ صَوْتِيَّةٍ صَرْفِيَّةٍ عِنْدَ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ، وَكَيْفَ بَيَّنَ هٰذِهِ الظَّاهِرَةَ فِي ضَوْءِ فَصْلِهِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ، وَهٰذِهِ الظَّاهِرَةُ مِن الظَّوَاهِرِ الشَّائِعَةِ وَالْمُنْتَشِرَةِ عِنْدَ الْغَالِبِيَّةِ الْعُظْمَىٰ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِلَّفْظَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، فَلَا حَدِيثَ عَنْ فَضْلِ آيَةٍ أَوْ إِبَانَةِ مَعْنَاهَا دُونَ التَّطَرُّقِ إِلَىٰ ظَاهِرَةِ الْإِبْدَالِ.

يَقَعُ هٰذَا الْبَحْثُ فِي ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ رَئِيسَةٍ، وَيُمَثِّلُ الْمِحْوَرُ الثَّالِثُ النَّمَاذِجَ التَّطْبِيقِيَّةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي كِتَابِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ، وَيَقِفُ الْبَاحِثُ عِنْدَ هٰذَا الْمِحْوَرِ مِنْ خِلَالِ التَّحْلِيلِ الصَّوْتِيِّ الْمُعَاصِرِ.

الْكَلِمَاتُ الْمِفْتَاحِيَّةُ : الْإِبْدَالُ، اللِّسَانِيَّاتُ، الْأَخْفَشُ، مَعَانِي الْقُرْآنِ.

مُقَدِّمَةٌ:

كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَمَا يَزَالُ هُوَ الْمَعِينُ الَّذِي اسْتَقَىٰ مِنْهُ النُّحَاةُ مَادَّتَهُم الْعِلْمِيَّةُ، فَالْعَالِمُ بِالْعَرَبِيَّةِ لَابُدَّ وَأَنْ يَكُونَ عَلَىٰ دِرَايَةٍ بِأَمْرَيْنِ لَا غِنَىٰ لَهُ عَنْهُمَا: الْعِلْمُ بِالْقُرْآنِ، وَالْعِلْمُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، وَإِذَا أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِي سِيَرِ وَتَرَاجِمِ النُّحَاةِ الْأَوَائِلِ نَجِدُ مَا يُشِيرُ إِلَىٰ تَفَوُّقِهِمْ فِي النَّحْوِ كَانَ مَسْبُوقًا بِتَفَوُّقِهِمْ فِي الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقِرَاءَاتِهِ وَبِكَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ ( )، وَأَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَىٰ ذٰلِكَ قِرَاءَةُ الْإِمَامِ الْكِسَائِيِّ، وَقِرَاءَةُ الْإِمَامِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ، فَهُمَا مِن الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورِينَ.

وَلِذٰلِكَ شَاعَ بَيْنَ النُّحَاةِ فِي ذٰلِكَ الْعَهْدِ الْمُبَكِّرِ مَا يُعْرَفُ بِكُتُبِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، وَهِيَ ضَرْبٌ مِن التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ ( )، كَـ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْكِسَائِيِّ، وَ(مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِأَبِي زَكَرِيَّا الْفَرَّاءِ، وَ(تَأْوِيلِ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ) لِابْنِ قُتَيْبَةَ الدَّيْنَوَرِيِّ، وَهِيَ مُؤَلَّفَاتٌ يُحَلِّلُ أَصْحَابُهَا آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَحْلِيلًا لُغَوِيًا وَتَرْكِيبِيًا، وَفِي طَيَّاتِ هٰذَا التَّحْلِيلِ يَدْرُسُونَ دَلَالَاتِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيبِ.

فَكُتُبُ مَعَانِي الْقُرْآنِ تُعَدُّ مِن الْكُتُبِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِدِرَاسَةِ اللُّغَةِ وَالتَّرْكِيبِ مِنْ خِلَالِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَيَانِ غَرِيبِهِ، وَدِرَاسَةِ أُسْلُوبِهِ، وَعَلَىٰ رَأْسِهَا (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ.

وَفِي هٰذِهِ الدِّرَاسَةِ الْمُيَسَّرَةِ نَتَعَرَّضُ إِلَىٰ ظَاهِرَةٍ مِن الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ الصَّرْفِيَّةِ فِي كِتَابِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ، الَّذِي يُعَدُّ مِن النُّحَاةِ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ قَعَّدُوا الْإِبْدَالَ وِفْقَ تَبَحُّرِهِمْ فِي مَجَالِ اللَّفْظَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

دِرَاسَاتٌ سَابِقَاتٌ حَوْلَ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ وَكِتَابِهِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ):

١- اخْتِيَارَاتُ الْأَخْفَشِ النَّحْوِيَّةُ فِي كِتَابِهِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، مُحَمَّدُ نُورِ بْنِ مت، رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرَ، كُلِّيَّةُ الْآدَابِ جَامِعَةُ الْيَرْمُوكِ، الْأَرْدُنُ، ١٩٩٥.

٢- الْفِكْرُ النَّحْوِيُّ عِنْدَ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ فِي كِتَابِهِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، عَاطِفُ سُلَيْمَانَ أَحْمَدَ، رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرَ، كُلِّيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، جَامِعَةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، الْأَرْدُنُ، ٢٠١١.

٣- التَّعْلِيلُ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ، مَرْوَةُ غَنِيِّ تَرِيجِيِّ الْعَبُّودِيُّ، رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرَ، كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ، جَامِعَةُ ذِي قَارَ، الْعِرَاقُ، ٢٠١٥.

مَنْهَجُ الْبَحْثِ:

اسْتَعْمَلْتُ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ، وَمَبَادِئَهُ، وَآلِيَاتِهِ فِي الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ؛ لِوَصْفِ الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ وَتَحْلِيلِهَا.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: الْأَخْفَشُ وَكِتَابُهُ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)

أَوَّلًا: الْأَخْفَشُ:

هُوَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ الْمُجَاشِعِيُّ الْبَلْخِيُّ الْبَصْرِيُّ، يُكْنَىٰ بِأَبِي الْحَسَنِ[١] ، وَيُلَقَّبُ بِالْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ، وَالْأَخْفَشُ مَعْنَاهُ: صَغِيرُ الْعَيْنَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ صَاحِبُنَا بِالْمُنْفَرِدِ بِهٰذَا اللَّقَبِ، وَإِنَّمَا كَانَ هُنَاكَ أَحَدَ عَشَرَ نَحْوِيًّا مِن الْأَخَافِشِ، ذَكَرَهُمُ السُّيُوطِيُّ فِي الْمُزْهِرِ [٢]، وَفِيهِمُ النَّحْوِيُّ، وَاللُّغَوِيُّ، وَالْقَارِئُ، وَالْفَقِيهُ، ...، غَيْرَ أَنَّ هٰذَا اللَّقَبَ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، وَهُوَ أَوْسَطُ الثَّلَاثَةِ الْمَشْهُورِينَ بِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: (الْأَخْفَشُ الْأَوْسَطُ)، وَلَقَبُهُ هٰذَا كَانَ تَمَيُّزًا لَهُ عَنِ (الْأَخْفَشِ الْأَكْبَرِ)، أَبِي الْخَطَّابِ، عَبْدِالْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِالْحَمِيدِ، أَحَدِ شُيُوخِ سِيبَوَيْهِ، وَعَنِ (الْأَخْفَشِ الْأَصْغَرِ)، عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَقَدْ لَقَّبَهُ بَعْضُهُمْ أَيْضًا بِالْأَخْفَشِ الرَّاوِيَةِ [٣].

لَمْ يُعْرَفْ لِلْأَخْفَشِ تَارِيخٌ دَقِيقٌ لِمِيلَادِهِ، إِنَّمَا الَّذِي عُلِمَ أَنَّهُ كَانَ أَسَنَّ مِنْ سِيبَوَيْهِ الَّذِي تُوُفِّيَ سَنَةَ (١٨٠هـ) تَقْرِيبًا عَنْ عُمُرٍ يُنَاهِزُ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ ابْنُ النَّدِيمِ عَنْهُ: "مِنْ مُشْهِرِي نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ أَخَذَ عَنْ سِيبَوَيْهِ، وَهُوَ أَحَدُ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ الْأَخْفَشُ أَسَنَّ مِنْهُ، وَلَقِيَ مَنْ لَقِيَهُ سِيبَوَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَىٰ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ" [٤]، فَمِنَ الْمُحْتَمَلِ إِذَنْ أَنْ تَكُونَ وِلَادَتُهُ خِلَالَ الْعِقْدِ الثَّانِي، أَوِ الثَّالِثِ مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهِجْرِيِّ [٥].

شُيُوخُهُ:

يَرْجِعُ الْجُزْءُ الْأَكْبَرُ مِنْ مَكَانَةِ الْأَخْفَشِ الْعِلْمِيَّةِ إِلَىٰ شُيُوخِ عَصْرِهِ، الْمَشْهُودِ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ، فَقَدْ كَانَ يُجِلُّ شُيُوخَهُ، وَيَحْتَرِمُهُمْ، وَيَظْهَرُ ذٰلِكَ حِينَمَا جَاءَ شَيْخَهُ سِيبَوَيْهِ يَوْمًا يُنَاظِرُهُ بَعْدَ أَنْ بَرَعَ، فَقَالَ لَهُ الْأَخْفَشُ: إِنَّمَا نَاظَرْتُكَ؛ لِأَسْتَفِيدَ مِنْكَ، لَا لِغَيْرِهِ، فَقَالَ سِيبَوَيْهِ: أَتَرَانِي أَشُكُّ فِي هٰذَا [٦].

فَقَدْ دَرَسَ الْأَخْفَشُ الْأَوْسَطُ عَلَىٰ عَدَدٍ مِنَ الشُّيُوخِ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَمِنْ هٰؤُلَاءِ:

سِيبَوَيْهِ – وَهُوَ يُعَدُّ شَيْخَهُ الْأَوَّلَ –، وَعِيسَىٰ بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ ، وَأَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَالْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ مُعَمَّرُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ الْبَصْرِيُّ، وَالْأَخْفَشُ الْأَكْبَرُ، وَيَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاق.

تَلَامِيذُهُ:

كَانَ لَدَىٰ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ تَلَامِيذُ أَخَذُوا عَنْهُ الْعِلْمَ، وَأَصْبَحُوا عُلَمَاءَ بِفَضْلِهِ، وَمِنْ هٰؤُلَاءِ التَّلَامِيذِ، أَبُو عُمَرَ، صَالِحُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَرْمِيُّ (ت ٢٢٥هـ)، وَأَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ (ت ٢٥٠هـ، أَوْ ت ٢٥٥هـ)، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ، أَبُو الْفَضْلِ الرِّيَاشِيُّ (ت ٢٥٧هـ)، وَأَبُو إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ الزِّيَادِيُّ (ت

٢٤٩هـ)، وَعَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَانِئٍ، أَبُو عَبْدِالرَّحْمٰنِ النِّيسَابُورِيُّ (ت٢٣٦هـ)، وَمَرْوَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عِبَادٍ الْمُهَلَّبِي، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّوْزِيُّ (ت٢٣٠هـ) [٧].

مُصَنَّفَاتُهُ:

لِلْأَخْفَشِ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ مَكَانَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ الْوَاسِعَةِ فِي النَّحْوِ وَالْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي، وَلَهَا شُهْرَةٌ وَاسِعَةٌ، يُقُولُ الدُّكْتُورُ عَبْدُالْأَمِيرِ الْوَرْدِ: "فَلَمْ تَمْضِ مُدَّةُ نِصْفِ قَرْنٍ عَلَىٰ وَفَاةِ الْأَخْفَشِ حَتَّىٰ كَانَتْ كُتُبُهُ وَمُؤَلَّفَاتُهُ قَدْ حَازَتْ عَلَىٰ اشْتِهَارٍ وَاسِعٍ؛ لِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَاسِعٍ غَزِيرٍ، فَهِيَ تُقْرَأُ، وَتُفَسَّرُ، وَيَسْتَنِدُ إِلَيْهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ، وَرِجَالُ التَّفْسِيرِ" [٨].

وَهٰذِهِ الْمُصَنَّفَاتُ هِيَ: كِتَابُ (الْأَوْسَطِ فِي النَّحْوِ)، وَ (الْمَقَايِيسِ فِي النَّحْوِ)، وَ (الاشْتِقَاقِ)، وَ (الْعَرُوضِ)، وَ (الْمسَائِلِ الْكَبِيرِ)، وَ (الْمسَائِلِ الصَّغِيرِ)، وَ (الْقَوَافِي)، وَ (الْمُلُوكِ)، وَ (مَعَانِي الشِّعْرِ)، وَ (وَقْفِ التَّمَامِ)، وَ (الْأَصْوَاتِ)، وَ (وَصْفِ الْغَنَمِ وَأَلْوَانِهَا وَعِلَاجِهَا وَأَسْنَانِهَا)، وَ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، وَ (لَامَاتِ الْقُرْآنِ)، وَ (التَّصْرِيفِ)، وَ (الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ فِي الْقُرْآنِ)، وَ (الْبَسِيطِ).

أَغْلَبُ هٰذِهِ الْمُؤَلَّفَاتِ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا، وَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ كُتُبِ الْأَخْفَشِ هُمَا اثْنَانِ، أَحَدُهُمَا مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنَ الدِّرَاسَةِ، وَهُوَ كِتَابُ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، وَكِتَابٌ آخَرُ اسْمُهُ (الْقَوَافِي)، وَهٰذَا الْكِتَابُ وَضَعَهُ الْأَخْفَشُ فِي بَيَانِ بَعْضِ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِقَوَافِي الشِّعْرِ، وَهُوَ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ وَمَنْشُورٌ.

وَفَاتُهُ:

لَمْ أَجِدْ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَرْجَمَتْ لِلْأَخْفَشِ مَنْ يُؤَكِّدُ سَنَةَ وَفَاتِهِ، إِلَّا أَنَّ السِّيرَافِيَّ يَذْكُرُ أَنَّ الْأَخْفَشَ تُوُفِّيَ بَعْدَ الْفَرَّاءِ، وَالْفَرَّاءُ قَدْ تُوُفِّيَ سَنَةَ (٢٠٧هـ) [٩]، وَلٰكِنْ هٰذَا الْقَوْلُ لَا يَجْعَلُنَا نَجْزِمُ أَنَّ هٰذِهِ السَّنَةَ هِيَ سَنَةُ وَفَاةِ الْأَخْفَشِ، وَيَذْكُرُ الْفَيْرُوزْآبَادِيُّ عَدَدًا مِنَ السَّنَوَاتِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْأَخْفَشُ، فَيَقُولُ: "فِي وَفَاتِهِ خِلَافٌ، وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: مَاتَ سَنَةَ عَشْرٍ، وَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسَ عَشَرَةَ، وَقِيلَ: إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ" [١٠]، وَالرَّاجِحُ قَوْلُ الدُّكْتُورِ الْوَرْدِ سَنَةَ (٢١٥ هـ) [١١].

ثَانِيًا: كِتَابُ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ:

يُعَدُّ كِتَابُ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَىٰ مَا يُعْرَفُ بِالتَّفَاسِيرِ اللُّغَوِيَّةِ؛ إِذِ اعْتَمَدَ الْمُصَنِّفُ فِيهِ عَلَىٰ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقِرَاءَاتِهِ، وَكَلَامِ الْعَرَبِ، أَسَاسًا فِي التَّقْعِيدِ اللُّغَوِيِّ، وَإِثْبَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ يُفَسِّرُ مَا يُشْكِلُ عَلَىٰ الْقُرَّاءِ مِنْ أَلْفَاظٍ وَتَرَاكِيبَ.

وَضَعَهُ الْأَخْفَشُ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي لِلْهِجْرَةِ، وَقَدْ عَمَدَ فِيهِ إِلَىٰ شَرْحِ الْآيَاتِ الَّتِي بِهَا إِشْكَالٌ مِنَ النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَخْفَشُ أَوَّلَ مَنْ أَلَّفَ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، بَلْ سَبَقَهُ إِلَىٰ ذٰلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ، مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ

(ت ٢١٠هـ) فِي كِتَابِهِ (مَجَازِ الْقُرْآنِ)، وَمِمَّنْ أَلَّفَ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ: قُطْرُبٌ (ت ٢٠٦هـ)، وَكَذٰلِكَ الْكِسَائِيُّ، وَالْفَرَّاءُ، وَقَدْ أَلَّفَهُ بَعْدَ اتِّصَالِهِ بِالْكِسَائِيِّ بِبَغْدَادَ [١٢]، فَهُوَ الَّذِي كَلَّفَهُ بِأَنْ يُؤَلِّفَ لَهُ كِتَابًا فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، فَجَعَلَ مِنْ هٰذَا الْمُصَنَّفِ إِمَامًا، وَعَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فِي الْمَعَانِي، وَعَمَلَ الْفَرَّاءُ كِتَابَهُ فِي الْمَعَانِي عَلَيْهِمَا.

سَبَبُ تَأْلِيفِ الْأَخْفَشِ لِلْكِتَابِ:

كَانَ لِلْأَخْفَشِ آرَاءُ وَمَبَاحِثُ فِي النَّحْوِ وَالصَّرْفِ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَهَا، وَقَدْ وَجَدَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ عَمَلَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ وَمَسَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ اسْتَحْسَنَهُ النَّاسُ، وَأَخَذُوهُ بِالْقَبُولِ حَتَّىٰ أَنَّ الْمَازِنِيَّ قَالَ فِيهِ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ بَعْدَ سِيبَوَيْهِ فَلْيَسْتَحِ" [١٣].

فَالْمَقْصُودُ بِكَلِمَةِ (مَعَانِي) مُنَاقَشَةُ الْقَضَايَا اللُّغَوِيَّةِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ مِنْ إِعْرَابٍ، وَتَأْوِيلٍ، وَتَفْسِيرٍ [١٤]، فَالْأَخْفَشُ يَجْعَلُ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ سَبِيلًا لِإِخْرَاجِ مَبَاحِثِهِ وَآرَائِهِ، فَالتَّوْجِيهُ الْإِعْرَابِيُّ لِلْآيَاتِ يَتَّسِعُ كُلَّ هٰذِهِ الْآرَاءِ وَالْمَبَاحِثِ النَّحْوِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ.

مَنْهَجُ الْأَخْفَشِ فِي الْكِتَابِ:

يُعَدُّ كِتَابُ الْأَخْفَشِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَىٰ قَائِمَةِ التَّفَاسِيرِ اللُّغَوِيَّةِ، وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَنَّنَا نَجِدُهُ يَفْتَتِحُهُ عَلَىٰ هَيْئَةِ التَّصْنِيفِ النَّحْوِيِّ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ، وَالْكِنَايَةِ، وَالتَّعَجُّبِ، وَغَيْرِهِ، ... إلخ.

لَمْ يُفسِّرِ الْأَخْفَشُ الْقُرْآنَ كَامِلًا فِي مَعَانِيهِ، إِنَّمَا انْتَقَىٰ الْآيَاتِ الَّتِي بِهَا إِشْكَالٌ مِنَ النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِ.

– لَقَدْ كَانَ لِلْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ نَصِيبٌ فِي اسْتِدْلَالِ الْأَخْفَشِ لِرَأْيِهِ فِي التَّفْسِيرِ، مِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا"، وَإِنَّمَا هِيَ (فَتَدَارَأْتُمْ)، وَلٰكِنَّ (التَّاءَ) تُدْغَمُ فِي (الدَّالِ)؛ لِأَنَّ مَخْرَجَهَا مِنْ مَخْرَجِهَا، فَلَمَّا أُدْغِمَتْ فِيهَا حُوِّلَتْ، فَجُعِلَتْ (دَالًا) مِثْلَهَا، وَسُكِّنَتْ، فَجَعَلُوا (أَلِفًا) قَبْلَهَا حَتَّىٰ يَصِلُوا إِلَىٰ الْكَلَامِ بِهَا، كَمَا قَالُوا: (اِضْرِبْ)، فَأَلْحَقُوا (الْأَلِفَ) حِينَ سُكِّنَتِ (الضَّادُ). أَلَا تَرَىٰ أَنَّكَ إِذَا اسْتَأْنَفْتَ قُلْتَ: "اِدَّارَأْتُمْ"، وَمِثْلُهَا: "يَذَّكَّرُونَ" فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ١٢٦، وَ:"تَذَّكَّرُونَ" فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ١٥٢، وَ: "أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ" فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ٦٨، وَإِنَّمَا هُوَ: (يَتَدَبَّرُونَ)، فَأُدْغِمَتِ (التَّاءُ) فِي (الدَّالِ)؛ لِأَنَّ (التَّاءَ) قَرِيبَةُ الْمَخْرَجِ مِنَ (الدَّالِ) بِطَرَفِ اللِّسَانِ وَأَطْرَافِ الثَّنِيَّتَيْنِ، وَمَخْرَجُ (التَّاءِ) بِطَرَفِ اللِّسَانِ وَأُصُولِ الثَّنِيَّتَيْنِ [١٥]، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

– لِلشَّاهِدِ الشِّعْرِيِّ مَكَانَةٌ عَالِيَةٌ فِي مَعَانِي الْأَخْفَشِ، فَلَقَدْ أَحْصَىٰ مُحَقِّقُو الْكِتَابِ أَنَّ شَوَاهِدَ الْمَعَانِي الشِّعْرِيَّةَ تُقَارِبُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمِئَةِ شَاهِدٍ مِنَ الشِّعْرِ، يَسْتَدِلُّ بِهِ الْأَخْفَشُ عَلَىٰ مَذْهَبِهِ، وَلِلْأَخْفَشِ رُؤْيَةٌ خَاصَّةٌ فِي الشَّاهِدِ، فَهُوَ يَتَنَاوَلُهُ أَحْيَانًا بِالشَّرْحِ، وَاللُّغَاتِ الْوَارِدَةِ فِيهِ.

– وَلَقَدْ كَانَ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَلُغَاتِ الْقَبَائِلِ حَظٌّ وَافِرٌ فِي تَفْسِيرِهِ.

– لَمْ يَسْتَشْهِدِ الْأَخْفَشُ فِي مَعَانِيهِ بِالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ سِوَىٰ حَدِيثَيْنِ فَقَطْ، وَكَذٰلِكَ الْأَمْثَالِ إِلَّا نَادِرًا.
– فَقَدْ كَانَ لِلْأَخْفَشِ مَنْهَجٌ خَاصٌّ اسْتَخْدَمَهُ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ بَعْضِ الْآيَاتِ بِبَعْضِهَا مِنْ آيَاتٍ أُخَرَ، وَبِالْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ أَحْيَانًا، وَبِالشَّاهِدِ الشِّعْرِيِّ، سَوَاءٌ كَانَ هٰذَا الشَّاهِدُ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، أَوِ الْإِسْلَامِيِّ، أَوِ الْأُمَوِيِّ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: الْمُسْتَوَىٰ الصَّوْتِيُّ وَالصَّرْفِيُّ عِنْدَ الْأَخْفَشِ

إِنَّ فَهْمَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانَ غَرِيبِهِ وَإِيضَاحَ مَعَانِيهِ لَهُوَ الدَّافِعُ إِلَىٰ دِرَاسَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا، فَمِنْ عَوَامِلِ فَهْمِ النَّصِّ وَاسْتِيْعَابِهِ إِدْرَاكُ اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا.

وَلَقَدْ سَعَىٰ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ فِي دِرَاسَاتِهِم اللُّغَوِيَّةِ إِلَىٰ تَحْلِيلِ لُغَتِهِمْ، وَالتَّعَمُّقِ فِي أَجْزَائِهَا الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا اللُّغَةُ، فَأَدَّىٰ ذٰلِكَ إِلَىٰ فَهْمٍ عَمِيقٍ لِحَقِيقَتِهَا، وَإِدْرَاكٍ وَاضِحٍ لِأَبْعَادِهَا، الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي وِحْدَاتٍ لُغَوِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَهُوَ مَا اُصْطُلِحَ عَلَيْهِ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْمُعَاصِرِ بِمُسْتَوَيَاتِ التَّحْلِيلِ اللُّغَوِيِّ.

فَاللُّغَةُ تَتَكَوَّنُ مِنْ أَصْوَاتٍ وَهُوَ التَّحْلِيلُ الصَّوْتِيُّ، الَّذِي يُعْنَىٰ بِدِرَاسَةِ أَصْوَاتِ اللُّغَةِ مُنْفَرِدَةً، وَإِذَا ضُمَّتْ إِلَىٰ بَعْضِهَا، وَبِضَمِّ الْأَصْوَاتِ تَتَكَوَّنُ الْكَلِمَاتُ. وَدِرَاسَةُ الْكَلِمَاتِ هُوَ تَحْلِيلُ الْبُنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ لِلُّغَةِ، وَالْكَلِمَاتُ تَحْمِلُ مَعْنًى مُعْجَمِيًّا أَوْ مَا يُسَمَّىٰ بِالْمُسْتَوَىٰ الدَّلَالِيِّ، أَمَّا التَّحْلِيلُ التَّرْكِيبِيُّ فَيَكُونُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ الْكَلِمَاتِ مُجْتَمِعَةً فِي جُمَلٍ مِنْ خِلَالِ أَنْظِمَةِ الرَّبْطِ النَّحْوِيِّ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ وَالْجُمَلِ.

الْمُسْتَوَىٰ الصَّوْتِيُّ:

كَانَتْ بِدَايَةُ الْبَحْثِ فِي الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ لِلْعَرَبِيَّةِ مَعَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ عِنْدَمَا أَرَادَ وَضْعَ نِظَامِ النَّقْطِ فِي الْعَرَبِيَّةِ مُعْتَمِدًا فِي ذٰلِكَ عَلَىٰ الْهَيْئَةِ الَّتِي تَكُونُ عَلَيْهَا الشَّفَتَانِ أَثْنَاءَ عَمَلِيَّةِ النُّطْقِ.

وَكَانَ هٰذَا الْأَمْرُ عِنْدَمَا نَشَأَ اللَّحْنُ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَدَخَلَتَ الْأُمَمُ الَّتِي تَتَلَسَّنُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامَ ، وَسَمِعَ أَبُو الْأَسْوَدِ قَارِئًا يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بِالْكَسْرِ[١٦] ، فَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَمْرَ النَّاسِ آلَ إِلَىٰ هٰذَا. [١٧]

ثُمَّ تَطَوَّرَت الدِّرَاسَاتُ عَلَىٰ يَدِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ؛ إِذْ عَدَّ أَصْوَاتَ الْعَرَبِيَّةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ صَوْتًا، وَحَيَّزَ أَمَاكِنَ خُرُوجِ الْأَصْوَاتِ (الصَّوَامِتِ)، وَهِيَ الْجَوْفُ، وَالْحَلْقُ، وَالشَّفَتَانِ، وَاللِّسَانُ، وَالْخَيْشُومُ [١٨].

وَسَارَ سِيْبَوَيْهِ عَلَىٰ نَفْسِ خُطَىٰ أُسْتَاذِهِ الْخَلِيلِ فِي دِرَاسَةِ الْأَصْوَاتِ (الصَّوَامِتِ) مَعَ بَعْضِ التَّغْيِيرِ الطَّفِيفِ، وَكَانَ أَكْثَرَ دِقَّةً فِي تَصْنِيفِ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ وَصِفَاتِهَا إِلَىٰ مَا سَمَّاهُ بِالْأَصْوَاتِ الْمَهْمُوسَةِ وَالْمَجْهُورَةِ وَالشَّدِيدَةِ وَالرِّخْوَةِ؛ وَهُوَ يُعْرَفُ فِي الدِّرَاسَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الْحَدِيثَةِ بِنَاءً عَلَىٰ وَضْعِ الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ بِالْأَصْوَاتِ الانْفِلَاكِيَّةِ وَالاحْتِكَاكِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

أَمَّا الْأَخْفَشُ فِي مَعَانِيهِ فَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَىٰ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ وَصِفَاتِهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ دِرَاسَتُهُ لِلْعِلَاقَاتِ الَّتِي تَنْتِجُ عَن الْتِقَاءِ الْأَصْوَاتِ بِبَعْضِهَا الْبَعْضُ، كَ (الْإِدْغَامِ)، وَ(التَّسْهِيلِ)، وَ(الْإِبْدَالِ).

المستوى الصرفي:

علم الصرف هو من أحد علوم قواعد اللغة العربية، ولم يكن علما قائما بذاته أول الأمر، وإنما كانت الدراسات الصرفية ضمن الدراسات النحوية، لأن علوم اللغة العربية لم تنفصل في بادىء أمره، ولم تحدد فصولها ومباحثها.

ويمكن تقسيم تاريخ نشأة الصرف إلى الدورين: الدور الأول يبدأ قبل أن يؤلف سيبيويه كتابه وينتهي بصدور الكتاب، والدور الثاني يبدأ بعد أن ينتهي سيبويه كتابه.

جمع سيبويه مباحث الصرف في سياق ضبطه لعلوم اللغة العربية، ووضع قوانينها، دون تفرقة بين نحو وصرف، وقراءات وأصوات وغير ذلك، وإن لم يشر إلى أنها خاصة بعلم غير النحو. ويعد الكتاب أول مؤلف فيه مسائل الصرف وموضوعاتها وان لم يبوبها سيبيويه، كما فعل المتأخرون.

إِنَّ الْمَسَائِلَ الصَّرْفِيَّةَ لَهَا حَيْزٌ كَبِيرٌ فِي مَعَانِي الْأَخْفَشِ، فَهُوَ يَتَنَاوَلُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ الْآيَاتِ الْمَصَادِرَ وَالْمُشْتَقَّاتِ، وَيَدْرُسُ بِنَاءَ الْكَلِمَةِ، وَأَوْزَانَ الْأَسْمَاءِ، وَصِيَغَ الْجُمُوعِ فِي غَيْرِ مَوْضُوعٍ مِنْ مَعَانِيهِ.

وَمِن الْآيَاتِ الَّتِي وَقَفَ عَلَىٰ الْمَصَادِرِ فِيهَا عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، قَالَ: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾، أَيْ: هِيَ سَلَامٌ، يُرِيدُ: مُسَلَّمَة، وَيَقُولُ الْأَخْفَشُ: {حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} يُرِيدُ: الطُّلُوعَ. وَالْمَصْدَرُ هٰا هُنَا لَا يُبْنَىٰ إِلَّا عَلَىٰ (مَفْعَل). (١٩)

فَالْأَخْفَشُ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِـ (الْمَطْلَعِ) – فِي الْآيَةِ – الْمَصْدَرُ، وَهُوَ الطُّلُوعُ، وَقِيَاسُهُ (مَطْلَع)، بِالْفَتْحِ، عَلَىٰ زِنَةِ (مَفْعَلِ)، لَا غَيْرَ.

كَمَا ذَكَرَ الْأَخْفَشُ تَصَارِيفَ الْأَفْعَالِ مَعَ بَيَانِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذٰلِكَ مِنْ مَعَانِيَ، وَذٰلِكَ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، قَالَ: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، فَهِيَ مِنْ (أَسِيَ يَأْسَىٰ أَسًى شَدِيدًا)، وَهُوَ: الْحُزْنُ.

وَ(يَئِسَ) مِن (الْيَأْسِ)، وَهُوَ: انْقِطَاعُ الرَّجَاءِ مِنْ (يَئِسُوا)، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٧]: مِن انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ، وَهُوَ مِنْ: (يَئِسْتُ)، وَهُوَ مِثْلُ (بِئْسَ) فِي تَصْرِيفِهِ، وإِنْ شِئْتَ مثل"خَشِيْتُ"في تصريفه، وأما"أسَوْتَ""تَأْسُوا""أَسْوٍا"فهو الدواء للجراحة. و"أُسْتُ""أُوُوسُ"أَوْسًا"في معنى: أَعْطَيْتُ. و"أُسْتُ"قياسها"قُلْتُ"و"أَسَوْتُ"[قياسها]"غَزَوْتُ". (٢٠)

وقدْ ذكرَ المشتقاتِ – أيضًا – عندَ تفسيرِه لقولِه تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرا﴾ [الإسراء: ٣١]، وقالُ الأخفشُ {إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا} من"خَطِىء""يَخْطَأُ"، تفسيره:"أَذْنَبَ"، وليسَ في معنى"أَخْطَأَ"؛ لأَنْ ما أَخْطَأْتَ: ما صنعته خَطَئًا، و"خَطِئْتَ": ما صنعته عمدًا؛ وهو الذنبُ، وقدْ يقولُ ناسٌ من العربِ:"خَطِئْتُ"في معنى"أَخْطَأْتُ". وقال امرؤ القيس:

يا لَهْفَ نَفْسي إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلا القَاتِلِينَ المَلِكَ الحُلاحِلا

وقال آخر:

والناسُ يَلْحُونَ الأَمِيرَ إِذَا هُمُ خَطِئُوا الصَّوابَ وَلاَ يُلامُ المُرْشَدُ (٢١).

ومن المشتقاتِ التي ذكرَ الأخفشُ اشتقاقَها كلمة(مرفقًا) في قولِه تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا﴾(سورة الكهف: ١٦)، وقال {مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا} أي: شَيْئًا يرتَفِقُونَ بِهِ؛ مثل:"المِقْطَع"و ﴿مِّرْفَقًا﴾ جعله اسما كـ"المَسْجِدِ" أو يكون لغة، يقولون:"رَفَقَ""يَرْفُقُ"، وإِنْ شئت {مَرْفَقًا} يريد:"رِفْقٍ"ولم تُقرأ. (٢٢)

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: ظَاهِرَةُ الْإِبْدَالِ فِي الْعَرَبِيَّةِ

حَدُّ الْإِبْدَالِ:

الْإِبْدَالُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ التَّغْيِيرُ، وَإِقَامَةُ شَيْءٍ مَقَامَ آخَرَ، بِأَنْ تَرْفَعَهُ، وَتَضَعَ غَيْرَهُ مَكَانَهُ. يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ (ت ٣٩٥ هـ): "**الْبَاءُ، وَالدَّالُ، واللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ قِيَامُ الشَّيْءِ مَقَامَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ**"(٢٣).

وَيَقُولُ ابْنُ سِيْدَه (ت ٤٥٨ هـ): "**حَدُّ الْبَدَلِ: وَضْعُ الشَّيْءِ مَكَانَ غَيْرِهِ، وَحَدُّ الْقَلْبِ: تَصْيِيرُهُ عَلَىٰ نَقِيضِ مَا كَانَ عَلَيْهِ**"(٢٤).

الْإِبْدَالُ فِي الاصْطِلَاحِ: لَا يَبْتَعِدُ الْمَعْنَىٰ الاصْطِلَاحِيُّ لِلْإِبْدَالِ عَنْ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ؛ إِذْ يُصْبِحُ الشَّيْءُ الذَّاهِبُ أَو الْمَرْفُوعُ، وَالشَّيْءُ الْوَافِدُ أَو الْمَوْضُوعُ مَكَانَهُ، صَامِتَيْنِ أَوْ حَرْفَيْنِ(٢٥)، وَعَلَيْهِ فَالْإِبْدَالُ – فِي عُرْفِ النَّحْوِيِّينَ وَالصَّرْفِيِّينَ –: هُوَ جَعْلُ حَرْفٍ مَكَانَ حَرْفٍ آخَرَ. يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ (ت ٦٤٣ هـ): " **الْبَدَلُ أَنْ تُقِيمَ حَرْفًا مُقَامَ حَرْفٍ، إِمَّا ضَرُورَةً، وَإِمَّا صَنْعَةً وَاسْتِحْسَانًا**"(٢٦).

وَذَكَرَ ابْنُ فَارِسٍ (ت ٣٩٥ هـ) فِي (الصَّاحِبِيِّ): أَنَّ هٰذِهِ الظَّاهِرَةَ مِنْ سُنَنِ لُغَةِ الْعَرَبِ، فَقَدْ أَوْرَدَ: "**وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ إِبْدَالُ الْحُرُوفِ وَإِقَامَةُ بَعْضِهَا مَقَامَ بَعْضٍ، وَيَقُولُونَ: (مَدَحَهُ، وَمَدَهَهُ)، وَ(رِفْلٌ، وَرِفْنٌ)، وَهُوَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ، قَدْ أَلَّفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ**"[٢٧].

وَعَرَّفَهُ الْمُحْدِثُونَ تَعْرِيفَاتٍ عِدَّةً، وَمِنْهَا:

- جَعْلُ حَرْفٍ مَكَانَ آخَرَ مَعَ الْإِبْقَاءِ عَلَىٰ سَائِرِ أَحْرِفِ الْكَلِمَةِ.[٢٨]
- قِيَامُ صَوْتٍ مَقَامَ آخَرَ مُطْلَقًا، أَوْ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ مَقَامَ بَعْضٍ، مَعَ اتِّحَادِ الْمَعْنَىٰ. [٢٩]
- جَعْلُ حَرْفٍ مَكَانَ آخَرَ، أَوْ حَرَكَةٍ مَكَانَ أُخْرَىٰ. [٣٠]

أَنْوَاعُ الْإِبْدَالِ:

الْإِبْدَالُ الصَّرْفِيُّ (الْمُطَّرِدُ، أَو الْقِيَاسِيُّ): يَقَعُ الْإِبْدَالُ قِيَاسًا فِي الْوَزْنِ الصَّرْفِيِّ (اِفْتَعَلَ)، وَشَوَاهِدُهُ تُؤَكِّدُ عَلَىٰ أَنَّهَا أُبْدِلَتْ بِقُوَّةِ عَامِلِ الْمُمَاثَلَةِ الصَّوْتِيَّةِ (Assimilation)؛ إِذْ إِنَّ الْأَصْوَاتَ تَخْتَلِفُ فِي دَرَجَاتِ تَأَثُّرِهَا، بِمَا يُجَاوِرُهَا مِنْ أَصْوَاتٍ فِي الْمَخْرَجِ، وَكَيْفِيَّةِ الْمَمَرِّ الْهَوَائِيِّ؛ إِذْ تَتَوَزَّعُ الْأَصْوَاتُ حَسَبَ تِلْكَ الْمَوَاقِعِ إِلَىٰ: أَصْوَاتِ انْفِجَارِيَّةٍ ، وَأَصْوَاتِ احْتِكَاكِيَّةٍ، وَأَصْوَاتٍ مُرَكَّبَةٍ، وَأَصْوَاتٍ مُكَرَّرَةٍ، وَأَصْوَاتٍ جَانِبِيَّةٍ، وَأَصْوَاتٍ أَنْفِيَّةٍ. وَكَذٰلِكَ حَسَبَ طَبِيعَةِ اهْتِزَازِ الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ إِلَىٰ أَصْوَاتٍ مَجْهُورَةٍ، وَأَصْوَاتٍ مَهْمُوسَةٍ[٣١].

وَيَظْهَرُ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ كُلِّ دَرَجَاتِ التَّأَثُّرِ الصَّوْتِيِّ هُوَ التَّقَارُبُ، وَالتَّيْسِيرُ فِي جَرَيَانِ الْعَمَلِيَّةِ النُّطْقِيَّةِ، فَضْلًا عَنِ الاقْتِصَادِ فِي الْجَهْدِ الْعَضَلِيِّ الْمَبْذُولِ أَثْنَاءَ عَمَلِيَّةِ التَّحْقِيقِ.

وينقسم هذا النوع إلى:

• الإبدال الإعلالي: وهو الإبدال الذي يحدث في أحرف العلة مضاف إليهم الهمزة.

• الإبدال الغير إعلالي: وهو الذي يحدث صيغة (افتعل)، وفي باقي أحرف (هدأت موطيا) أو الذي يحدث بين حرف صحيح وحرف معتل.

الْإِبْدَالُ اللُّغَوِيُّ (غَيْرُ الْمُطَّرِدِ، أَو السَّمَاعِيُّ): وَهٰذَا عَكْسُ النَّوْعِ السَّابِقِ؛ إِذْ لَا يَخْضَعُ إِلَىٰ ضَوَابِطَ، أَوْ قَوَانِينَ مُعَيَّنَةٍ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُهُ السَّمَاعُ عَنِ الْعَرَبِ، وَهُوَ وَثِيقُ الصِّلَةِ بِتَعَدُّدِ اللَّهَجَاتِ، فَلَا يَكُونُ عِنْدَ الْعَرَبِ جَمِيعًا، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْقَبَائِلِ.[٣٢]، وَهُوَ الْإِبْدَالُ اللُّغَوِيُّ الَّذِي يَعْنِي قِيَامَ صَامِتٍ مَقَامَ صَامِتٍ مُطْلَقًا.

الْإِبْدَالُ الصَّوْتِيُّ: هُوَ عَمَلِيَّةُ وَضْعِ صَوْتٍ، أَوْ مَقْطَعٍ لُغَوِيٍّ مَكَانَ صَوْتٍ، أَوْ مَقْطَعٍ لُغَوِيٍّ آخَرَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بِمَا يُؤَدِّي إِلَىٰ تَغْيِيرِ دَلَالَتِهَا، وَتَقَعُ هٰذِهِ الْعَمَلِيَّةُ فِي الصَّوَامِتِ وَالصَّوَائِتِ مَعًا، وَتَقُومُ عَلَىٰ فِكْرَةِ الْمُغَايَرَةِ وَالْمُخَالَفَةِ، وَيَكُونُ لِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهَا قِيمَتُهُ اللُّغَوِيَّةُ.

أَحْرُفُ الْإِبْدَالِ:

هِيَ الْأَحْرُفُ الَّتِي يَجْرِي بَيْنَهَا الْإِبْدَالُ، وَقَد اخْتَلَفَت الْآرَاءُ حَوْلَ عَدَدِهَا، فَهِيَ ثَمَانِيَةٌ عِنْدَ السُّيُوطِيُّ، يَجْمَعُهَا الْقَوْلُ: (طَوَيْتُ دَائِمًا)[٣٣]، وَتِسْعَةٌ عِنْدَ ابْنِ مَالِكٍ، يَجْمَعُهَا الْقَوْلُ: (هَدَأْتَ مُوطِيًا)، كَمَا ذَكَرَ فِي مَنْظُومَتِهِ:

أَحْرُفُ الْإِبْدَالِ (هَدَأْتَ مُوطِيَا) .....[٣٤]

ذَهَبَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ الْمُحْدِثُونَ إِلَىٰ أَنَّ الْإِبْدَالَ إِنَّمَا نَشَأَ نَتِيجَةً لِلتَّطَوُّرِ الصَّوْتِيِّ بَيْنَ الْمُبْدَلِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ، كَمَا رَأَوا أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ مُلَاحَظَةِ الْعِلَاقَةِ الصَّوْتِيَّةِ بَيْنَ الْمُبْدَلِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ، كَالتَّقَارُبِ فِي الصِّفَاتِ، أَو الْمَخَارِجِ، أَوْ فِيهِمَا مَعًا.

وَيَأْتِي عَلَىٰ رَأْسِ هٰؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ أَنِيسٍ[٣٥].

وَبِنَاءً عَلَىٰ هٰذَا الرَّأْيِ يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ صُورَةِ الْأَصْلِ مِن الْفَرْعِ فِي هٰذِهِ الظَّاهِرَةِ بِوَسَاطَةِ قَوَانِينِ التَّطَوُّرِ الصَّوْتِيِّ. [٣٦]

بَيْنَمَا سَلَكَ الْأُسْتَاذُ عَبْدُاللهِ أَمِينٍ اتِّجَاهًا وَرَأْيًا آخَرَ؛ إِذْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّ جَمِيعَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي وَرَدَتْ عَن الْعَرَبِ، وَرُوِيَتْ بِالْإِبْدَالِ مِنْ قَبِيلِ الْإِبْدَالِ دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَ مِثَالٍ وَآخَرَ. [٣٧]

المبحث الرابع: الإبدال الصرفي الإبدال عند الأخفش

أولًا: الإبدال الصرفي:

١ – الْإِبْدَالُ الْإِعْلَالِيُّ:

الْمُرَادُ بِهٰذَا النَّوْعِ مِن الْإِبْدَالِ هُوَ النَّوْعُ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْإِعْلَالُ، وَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِالتَّغَيُّرَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي أَحْرِفِ الْعِلَّةِ مُضَافَةً إِلَيْهَا الْهَمْزَةُ، وَهٰذِهِ التَّغَيُّرَاتُ تَكُونُ إِمَّا قَلْبًا، أَوْ نَقْلًا، أَوْ حَذْفًا.

وَالْعِلَّةُ الرَّئِيسِيَّةُ لِحُدُوثِ الْإِبْدَالِ هِيَ التَّخْفِيفُ، وَهٰذَا التَّخْفِيفُ نَاتِجٌ مِنْ تَشَابُهِ الصِّفَاتِ الصَّوْتِيَّةِ بَيْنَ تِلْكَ الْحُرُوفِ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمُوَضَّحِ فِي الْجَدْوَلِ الآتِي:

الْحَرْفُ	مَخْرَجُهُ	صِفَاتُ الْقُوَّةِ فِيهِ	صِفَاتُ الضَّعْفِ فِيهِ	صِفَاتٌ لَا قُوَّةَ فِيهَا وَلَا ضَعْفَ
الْهَمْزَةُ	أَقْصَىٰ الْحَلْقِ	الْجَهْرُ، وَالشِّدَّةُ	الاسْتِفَالُ، وَالانْفِتَاحُ	الْإِصْمَاتُ
الْأَلِفُ	الْجَوْفُ	الْجَهْرُ	الرَّخَاوَةُ، وَالاسْتِفَالُ، وَالانْفِتَاحُ	الْإِصْمَاتُ
الْوَاوُ	الشَّفَتَانِ	الْجَهْرُ	الرَّخَاوَةُ، وَالاسْتِفَالُ، وَالانْفِتَاحُ، وَاللِّينُ	الْإِصْمَاتُ
الْيَاءُ	وَسَطُ اللِّسَانِ مَا فَوْقَهُ مِن الْحَنَكِ الْأَعْلَىٰ	الْجَهْرُ	الرَّخَاوَةُ، وَالاسْتِفَالُ، وَالانْفِتَاحُ، وَاللِّينُ	الْإِصْمَاتُ

وَبِالنَّظَرِ إِلَىٰ تَحْلِيلِ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْمُعَاصِرَةِ نَجِدُ الدُّكْتُورَ إِبْرَاهِيمَ أَنِيسٍ فِي تَفْسِيرِهِ لِظَاهِرَتَي (الْهَمْسِ وَالْجَهْرِ) عَلَىٰ أَسَاسِ اهْتِزَازِ الْأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ مِنْ عَدَمِهِ، فَالْأَصْوَاتُ الْمَهْمُوسَةُ عِنْدَهُ هِيَ الَّتِي لَا تَهْتَزُّ مَعَهَا الْأَوْتَارُ الصَّوْتِيَّةُ، أَمَّا الْمَجْهُورَةُ فَهِيَ الَّتِي تَهْتَزُّ مَعَهَا الْأَوْتَارُ الصَّوْتِيَّةُ حِينَ نُطْقِهَا(٣٨).

وَأَمَّا الْأَصْوَاتُ الشَّدِيدَةُ: فَهِيَ تِلْكَ الَّتِي يُغْلَقُ مَعَهَا طَرِيقُ الْهَوَاءِ غَلْقًا مُحْكَمًا يَعْقِبُهُ انْفِجَارٌ، وَمِنْ ثَمَّ أُطْلِقَ عَلَيْهَا أَيْضًا الْأَصْوَاتُ الانْفِجَارِيَّةُ (Explosive)، كَمَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَيْضًا الصَّوَامِتُ الْوَقْفِيَّةُ؛ نَظَرًا لِتَوَقُّفِ الْهَوَاءِ عَنْ مُتَابَعَةِ مَسِيرِهِ إِلَىٰ خَارِجِ الْفَمِ نَتِيجَةَ الالْتِصَاقِ الْمُحْكَمِ لِعُضْوَيِ النُّطْقِ عِنْدَ إِرَادَةِ التَّلَفُّظِ بِالصَّوْتِ".(٣٩)، وَهِيَ أَصْوَاتُ (الْهَمْزَةِ، وَالدَّالِ، وَالْكَافِ، وَالْقَافِ، وَالْبَاءِ، وَالتَّاءِ، وَالضَّادِ (وِفْقًا لِنُطْقِنَا الْحَالِي)، وَالْجِيمِ الْقَاهِرِيَّةِ، الْخَالِيَةِ مِن التَّعْطِيشِ)(٤٠)، وَبِهٰذَا الْحَصْرِ نَجِدُ أَنَّ الْقُدَمَاءَ قَدْ **تَرَكُوا الضَّادَ، وَأَضَافُوا بَدَلًا مِنْهَا الْجِيمَ، أَمَّا الْمُحْدِثُونَ فَقَدْ أَضَافُوا عَلَىٰ الْقُدَمَاءِ الضَّادَ وَالْجِيمَ الْقَاهِرِيَّةَ الْخَالِيَةَ مِن التَّعْطِيشِ.**

وَقَدْ أَطْلَقَ الدُّكْتُورُ رَمَضَانُ عَبْدِ التَّوَّابِ عَلَىٰ الْأَصْوَاتِ الشَّدِيدَةِ أَصْوَاتًا وَقْتِيَّةً آنِيَّةً(Lontoute) (Momen، أَيْ: لَا يُمْكِنُ التَّغَنِّي بِهَا، وَتَرْدِيدُهَا؛ لِأَنَّهَا تَنْتَهِي بِمُجَرَّدِ زَوَالِ الْعَائِقِ وَخُرُوجِ الْهَوَاءِ(٤١).

وَالصَّوْتُ الرَّخْوُ (الاحْتِكَاكِيُّ) هُوَ: الَّذِي لَا يُحْبَسُ الْهَوَاءُ فِي مَخْرَجِهِ حَبْسًا تَامًّا، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَضِيقَ مَجْرَىٰ النَّفَسِ بِاقْتِرَابِ عُضْوَيْنِ مِنْ أَعْضَاءِ آلَةِ النُّطْقِ نَحْوَ بَعْضِهِمَا فِي مَخْرَجِ الْحَرْفِ، دُونَ أَنْ يَقْفِلَا الْمَجْرَىٰ، فَيُحْدِثُ النَّفَسُ فِي أَثْنَاءِ مُرُورِهِ بِمَخْرَجِ الصَّوْتِ حَفِيفًا مَسْمُوعًا تَخْتَلِفُ نِسْبَتُهُ تَبَعًا لِنِسْبَةِ ضِيقِ الْمَجْرَىٰ، وَذٰلِكَ مِثْلُ: صَوْتِ السِّينِ، وَالزَّايِ ... وَغَيْرِهِمَا(٤٢) .

وَقَدْ أَطْلَقَ الدُّكْتُورُ رَمَضَانُ عَبْدِالتَّوَّابِ عَلَىٰ الْحُرُوفِ الرَّخْوَةِ اسْمَ الْأَصْوَاتِ الاسْتِمْرَارِيَّةِ الْمُتَمَادَّةِ (Dauerlaute)، أَيْ: يُمْكِنُ التَّغَنِّي بِهَا، وَاسْتِمْرَارُ نُطْقِهَا بِلَا انْقِطَاعٍ، مَادَامَ فِي الرِّئَتَيْنِ هَوَاءٌ.(٤٣)، وَهِيَ أَصْوَاتُ (الثَّاءِ، وَالْحَاءِ، وَالْخَاءِ، وَالذَّالِ، وَالزَّايِ، وَالْعَيْنِ، وَالشِّينِ، وَالصَّادِ، وَالظَّاءِ، وَالْغَيْنِ، وَالْفَاءِ، وَالْهَاءِ، وَالْوَاوِ، وَالْيَاءِ) (٤٤).

فَقَدْ أَسْقَطَ المحدثون الضَّاد حيث عَدُّوها من الحروف الانفجارية،بينما اعتبرها القدماء من الحروف الرخوة وعلي رأسهم الخليل بن أحمد، كما أضاف المحدثون العين إلي الأصوات الرخوة عكس القدماء حيث اعتبروها من الأصوات المتوسطة(٤٥).

والأصوات المنفتحة هي: انخفاض مؤخرة اللسان عند نطق الصوت، وفى هذه الحالة يسمى الصوت " مرققا " أو " غير مطبق " (٤٦).

والاستفال: وعند المحدثين: هى التى لا يرتفع معها اللسان[٤٧]. وقد عللوا للاستفال بقولهم: عند نطق الحرف المستفل فإنك ترقق الصوت نتيجة لانخفاض اللسان، وقد أطلقوا عليه (الترقيق).

وَمِنْ أَمْثِلَةِ هٰذَا النَّوْعِ مِنَ الْإِبْدَالِ فِي كِتَابِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ:

إِبْدَالُ الْهَمْزَةِ أَلِفًا:

الْهَمْزَةُ: الْحَرْفُ الْأَوَّلُ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ، وَهُوَ صَوْتٌ حِنْجَرِيٌّ، لَا مَجْهُورٌ وَلَا مَهْمُوسٌ، سَاكِنٌ، انْفِجَارِيٌّ (شَدِيدٌ)، مُرَقَّقٌ[٤٨].

وَبِخُصُوصِ تَسْمِيَتِهَا الَّتِي اسْتَقَرَّتْ عَلَىٰ هٰذَا الصَّوْتِ الْحِنْجَرِيِّ "الَّذِي هُوَ نَبْرَةٌ فِي الصَّدْرِ، تَخْرُجُ بِاجْتِهَادٍ، كَمَا قَالَ سِيبَوَيْهِ وَالْمُبَرِّدُ وَابْنُ يَعِيشَ"،[٤٩] قَدْ أَصْبَحَ لِزَامًا عَلَيْهِمْ أَنْ يُمَيِّزُوهُ، وَيَخِصُّوهُ بِرَسْمٍ مُعَيَّنٍ، يَدُلُّ عَلَيْهِ كَبَاقِي الْحُرُوفِ. فَتَسْمِيَةُ الصَّوْتِ بِالْهَمْزَةِ هِيَ تَسْمِيَةٌ حَدِيثَةٌ نِسْبِيًّا، كَمَا يَرَىٰ جَانُ كَانْتِينُو، وَإِنْ كَانَ مَفْهُومُهُ لِلْهَمْزَةِ ظَلَّ مُخْتَلَطًا بَعْضَ الشَّيْءِ فِي الْأَذْهَانِ بِمَفْهُومِ الْأَلِفِ عِنْدَ الْقُدَمَاءِ، "حَتَّىٰ ذَكَرَ أَبُو عُثْمَانَ ابْنُ جِنِّيٍّ مِرَارًا أَنَّ الْأَلِفَ صُورَةٌ لِلْهَمْزَةِ"[٥٠].

وَفَرَّقَهَا عَنِ الْأَلِفِ أَنَّهَا تَجِيءُ فِي الْكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ أَصْلًا، أَيْ: فَاءً، أَوْ عَيْنًا، أَوْ لَامًا، فِي حِينَ أَنَّ الْأَلِفَ لَا تَكُونُ كَذٰلِكَ، وَبِمَا أَنَّ الْهَمْزَةَ قَابِلَةٌ لِلتَّحْرِيكِ، وَتَحْرِيكُهَا يَكُونُ بِالْفَتْحَةِ، أَوِ الضَّمَّةِ، أَوِ الْكَسْرَةِ، فَإِنَّ الْأَلِفَ لَا تَتَحَرَّكُ أَلْبَتَّةَ[٥١].

الْهَمْزَةُ صَوْتٌ صَامِتٌ حِنْجَرِيٌّ، وَقْفَةٌ انْفِجَارِيَّةٌ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي الْإِنْكِلِيزِيَّةِ (glottal stop) أو (glottal catch) وَالْفِرَنْسِيَّةِ (Coup de glotte)، وَيَتِمُّ نُطْقُ هٰذَا الصَّوْتُ بِأَنْ تَسُدَّ فَتْحَةَ الْمِزْمَارِ (The glottis) الْمَوْجُودَةَ بَيْنَ الْوَتَرَيْنِ الصَّوْتِيَيْنِ (the vocal chords)، وَذٰلِكَ بِانْطِبَاقِ هٰذَيْنِ الْوَتَرَيْنِ انْطِبَاقًا تَامًّا، وَحَبْسِ الْهَوَاءِ خَلْفَهُمَا، بِحَيْثُ لَا يَمُرُّ مِنَ الْحِنْجَرَةِ إِلَىٰ الْحَلْقِ وَمَا بَعْدَهُ، ثُمَّ يَنْفَرِجُ الْوَتَرَانِ، فَيَخْرُجُ الْهَوَاءُ فَجْأَةً مُحْدِثًا صَوْتًا انْفِجَارِيًّا[٥٢]

وَمِنَ الشَّوَاهِدِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا الْأَخْفَشُ فِي أَمْرِ إِبْدَالِ الْهَمْزَةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَآ آمَنَ النَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[الْبَقَرَة:١٣].

قَالَ الْأَخْفَشُ: إِذَا اجْتَمَعَتْ هَمْزَتَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَبْدَلُوا الْآخِرَةَ مِنْهُمَا أَبَدًا، فَجَعَلُوهَا – إِنْ كَانَ مَا قَبْلَهَا مَفْتُوحًا – أَلِفًا سَاكِنَةً، نَحْوُ (آدَمَ)، وَ(آخَرَ)، وَ(آمَنَ)، وَإِنْ كَانَ مَا قَبْلَهَا مَضْمُومًا جُعِلَتْ وَاوًا، نَحْوُ "أُوْزُزْ" اذا أمرته ان يَؤُز وان كان ما قبلها مكسورا جعلت ياء نحو "إِيْتِ" وكذلك إِنْ كانت الآخرة متحركة بأي

حركة كانت والأُولى مضمومة او مكسورة فالآخرة تتبع الأولى نحو "أن أفعل" من "أَأَب" تقول "أُووب". ونحو "جاءَ في الرفع والنصب والجر[٥٣].

التحول الصوتي في باب الهمزة يحدث بقلبها واوا أو ياء أو ألفا، والسبب الأساسي للتحول في باب الهمزة يكمن في أنها حرف حنجري أقرب ما يكون إلى مخرج الجوف، وهو ما دعا القدماء إلى عده ضمن حروف الجوف الهوائية.

ولتحول الهمزة أساسان صوتيان تتم من خلالهما عملية التحويل والإعلال: الأساس الأول : الثقل الناتج عن تجاور الهمزتين: (ء+ء) فإذا تجاورت همزتان نتج عن هذا التجاور الثقل وعدم الانسجام، ومرجع هذا إلى أن الهمزة حبسة حنجرية ثقيلة في نطقها، مرهقة لأعضاء النطق ولا سيما عند منطقة الحنجرة، فإذا تجاورت همزتان نشأ عن تجاورهما ثقل اجتماع حبستين حنجريتين مستثقلتين، هو أمر يدعو إلى وجوب التحول الصوتي بقلب الهمزة الثانية حرف مد من جنس حركة الهمزة الأولى عملا على الانسجام الصوتي.

إِبْدَالُ الْأَلِفِ وَاوًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آلُ عِمْرَانَ:١٠٣]

قَالَ الْأَخْفَشُ: فَـ (الشَّفَا) مُتَصَوَّرٌ، مِثْلُ (القَفَا)، وَتَثْنِيَتُهُ بِالْوَاوِ، تَقُولُ: (شَفَوَانِ)؛ لِأَنَّهُ لَا تَكُونُ فِيهِ الْإِمَالَةُ، فَلَمَّا لَمْ تَجِئْ فِيهِ الْإِمَالَةُ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنَ الْوَاوِ[٥٤].

(شَفَا): أَصْلُ الْأَلِفِ فِيهِ وَاوٌ، مُثَنَّاهُ (شَفَوَانِ)، وَيُجْمَعُ عَلَىٰ (أَشْفَاءٍ)، قَالَ ابْنُ سِيدَه: "**وَشَفَتِ الشَّمْسُ تَشْفُو قَارَبَتِ الْغُرُوبَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذٰلِكَ فِي الْيَاءِ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ يَائِيَّةٌ، وَاوِيَّةٌ، وَشَفَا الْهِلَالُ طَلَعَ، وَشَفَا الشَّخْصُ ظَهَرَ، هَاتَانِ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ، وَالشَّفَا حَرْفُ الشَّيْءِ، حَكَىٰ الزَّجَّاجُ فِي تَثْنِيَتِهِ (شَفَوَانِ)** "[٥٥].

الكسر كما يروم في "قيل" الضم. وقال الفرزدق: [من الطويل وهو الشاهد الثالث والعشرون] :

إِبْدَالُ الْيَاءِ أَلِفًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[الْبَقَرَةُ:٢].**

قَالَ الْأَخْفَشُ: **﴿فِيهِ هُدَى﴾**، فَأَدْغَمَ الْهَاءَ الْأُولَىٰ فِي هَاءِ **﴿هُدى﴾**؛ لِأَنَّهُمَا الْتَقَتَا وَهُمَا مِثْلَانِ [٥٦]. مَصْدَرٌ سَمَاعِيٌّ لِلْفِعْلِ (هَدَىٰ)، مِنْ بَابِ (ضَرَبَ). وَفِي الْكَلِمَةِ إِعْلَالٌ بِالْقَلْبِ، أَصْلُهُ: (هُدَيٌ)، بِيَاءٍ فِي آخِرِهِ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: (هَدَيْتُ)، جَاءَتِ الْيَاءُ مُتَحَرِّكَةً بَعْدَ فَتْحٍ، فَقُلِبَتْ أَلِفًا، فَأُعِلَّتْ فِي الْمَصْدَرِ، كَمَا أُعِلَّتْ فِي الْفِعْلِ.

إِنَّ صَوْتَيِ الْأَلِفِ وَالْيَاءِ مُتَشَابِهَانِ فِي الصِّفَةِ، وَمُخْتَلِفَانِ فِي الْمَخْرَجِ، وَمِنْ ثَمَّ يَحْدُثُ الْإِبْدَالُ بِهَدَفِ التَّخْفِيفِ.

ثَانِيًا: الْإِبْدَالُ فِي تَاءِ الِافْتِعَالِ:

إِبْدَالُ التَّاءِ دَالًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يُوسُفُ:٤٥].

قَالَ الْأَخْفَشُ: وَقَالَ: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، وَإِنَّمَا هِيَ (اِفْتَعَلَ)، مِنْ (ذَكَرْتَ)، فَأَصْلُهَا: (اِذْتَكَرَ)، وَلٰكِنِ اجْتَمَعَا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَخْرَجَاهُمَا مُتَقَارِبَانِ، وَأَرَادُوا أَنْ يُدْغِمُوا، وَالْأَوَّلُ حَرْفٌ مَجْهُورٌ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الْأَوَّلُ فِي الْآخِرِ، وَالآخِرُ مَهْمُوسٌ، فَكَرِهُوا أَنْ يَذْهَبَ مِنْهُ الْجَهْرُ، فَجَعَلُوا فِي مَوْضِعِ التَّاءِ حَرْفًا – مِنْ مَوْضِعِهَا – مَجْهُورًا، وَهُوَ الدَّالُ؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ الَّذِي قَبْلَهَا مَجْهُورٌ. وَلَمْ يَجْعَلُوا الطَّاءَ؛ لِأَنَّ الطَّاءَ مَعَ الْجَهْرِ مُطْبَقَةٌ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ (مُذّكِر)، فَأَبْدَلَ التَّاءَ ذَالًا، ثُمَّ أَدْخَلَ الذَّالَ فِيهَا [٥٧].

وَعَمَّا وَقَعَ فِي هٰذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ تَمَاثُلٍ يُمْكِنُ الْقَوْلُ: إِنَّ أَصْلَ كَلِمَةِ (اِدَّكَرَ): (اِذْتَكَرَ)، وَفِيهِ تَأَثُّرَ الصَّوْتُ الثَّانِي اللَّاحِقُ، وَهُوَ (التَّاءُ) الْمَهْمُوسَةُ بِالصَّوْتِ السَّابِقِ، وَهُوَ(الذَّالُ) الْمَجْهُورَةُ فِي الصِّفَةِ، وَهِيَ (الْجَهْرُ)، فَأُبْدِلَتْ (دَالًا).

الدَّالُ وَالذَّالُ صَوْتَانِ مُتَوَالِيَانِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا مَجْهُورٌ (Voiced)، وَلٰكِنَّ الدَّالَ صَوْتٌ انْفِجَارِيٌّ (Explosive)، وَالذَّالَ صَوْتٌ احْتِكَاكِيٌّ (Fricative) رِخْوٌ [٥٨]، فَنَتَجَ عَنْ ذٰلِكَ بُرُوزُ ظَاهِرَةِ الْمُمَاثَلَةِ الصَّوْتِيَّةِ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ؛ إِذْ تَأَثَّرَتِ التَّاءُ بِالدَّالِ بَعْدَهَا، فَقُلِبَتْ دَالًا، ثُمَّ أُدْغِمَتِ الدَّالُ فِي الدَّالِ.

فَنَلْحَظُ الصَّوْتَ بِمَا يَلِيهِ مُبَاشَرَةً مِنَ الْأَصْوَاتِ، فَيَتَحَوَّلُ إِلَىٰ نَفْسِ الصَّوْتِ، ثُمَّ يُدْغِمُ فِيهِ [٥٩]، وَهٰذِهِ الظَّاهِرَةُ هِيَ الْأَكْثَرُ شُيُوعًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا ذَكَرَ أَحْمَدُ مُخْتَارِ عُمَرَ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ (دِرَاسَةُ الصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ): " وَالشَّائِعُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ هُوَ التَّأَثُّرُ الرَّجْعِيُّ إِلَّا فِي حَالَةِ مَا إِذَا كَانَ الْأَوَّلُ أَقْوَىٰ (مَجْهُور – مُفَخَّم Emphatic) [٦٠]، وَصَاحِبُ هٰذَا الرَّأْيِ هُوَ الْمُسْتَشْرِقُ فِنْدَرِيسُ فِي كِتَابِهِ (اللُّغَةِ)؛ إِذْ قَالَ: الصَّوْتُ الْمُشْبِهُ يَسْبِقُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ الصَّوْتَ الْمُشْبِهُ بِهِ [٦١].

وَالْمُسَوِّغُ الصَّوْتِيُّ لِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الدَّالِ – بَعْدَ إِبْدَالِهَا دَالًا –، هُوَ السُّهُولَةُ فِي النُّطْقِ، وَاخْتِصَارُ الْجَهْدِ الْعَضَلِيِّ.

إِبْدَالُ التَّاءِ طَاءً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٠].

قَالَ الْأَخْفَشُ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (يَخِطِّفُ)، وَهُوَ قَوْلُ يُونُسَ: مِنْ (يَخْتَطِفُ)، فَأَدْغَمَ التَّاءَ فِي الطَّاءِ؛ لِأَنَّ مَخْرَجَهَا قَرِيبٌ مِنْ مَخْرَجِ الطَّاءِ[٦٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْبَقَرَةُ:٢٠].

قَالَ الْأَخْفَشُ: (اطَّوَّفَ) (يَطَّوَّفُ)، وَهِيَ مِنْ (تَطَوَّفَ)، فَأَدْغَمَ التَّاءَ فِي الطَّاءِ، فَلَمَّا سَكَنَتْ جَعَلَ قَبْلَهَا أَلِفًا؛ حَتَّىٰ يَقْدِرَ عَلَىٰ الِابْتِدَاءِ بِهَا، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾؛ لِأَنَّ ذٰلِكَ كَانَ مَكْرُوهًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَكْرُوهٍ عِنْدَهُ[٦٣].

وَالْمُسَوِّغُ الصَّوْتِيُّ فِي ذٰلِكَ أَنَّ التَّاءَ الْمُنْفَتِحَةَ إِذَا جَاوَرَتِ الصَّادَ، أَوِ الضَّادَ، أَوِ الظَّاءَ السَّوَاكِنَ، أَوِ الْمُتَحَرِّكَاتِ، يَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْ أَنْ يُسَارِعَ اللِّسَانُ بِهَا، وَيَنْطِقُهَا طَاءً، وَالْعِلَّةُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ التَّاءَ وَالطَّاءَ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَمَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ التَّاءَ مَهْمُوسَةٌ مُنْفَتِحَةٌ، وَالطَّاءَ مَجْهُورَةٌ مُطْبَقَةٌ ، وَهِيَ أَدْخَلُ فِي الْفَمِ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ الصَّادِ مِنَ التَّاءِ، وَلَا تُؤْخَذُ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ حَرَكَةُ التَّاءِ، وَلَا يُلْتَفَتُ كَذٰلِكَ إِلَىٰ سُكُونِ الصَّادِ [٦٤].

ثَالِثًا: الْإِبْدَالُ اللُّغَوِيُّ:

إِبْدَالُ الْهَاءِ هَمْزَةً:

الْهَاءُ صَوْتٌ حَلْقِيٌّ يَخْرُجُ مِنْ أَقْصَىٰ الْحَلْقِ، وَهُوَ صَوْتٌ رِخْوِيٌّ، مَهْمُوسٌ [٦٥]، وَهُوَ – عِنْدَ الْمُحْدِثِينَ – صَوْتٌ حِنْجَرِيٌّ، أَوْ (مِزْمَارِيٌّ)، احْتِكَاكِيٌّ (رِخْوٌ) يَتَّصِفُ بِالْهَمْسِ [٦٦] .

وَقَدْ أَوْرَدَ الْمُحْدِثُونَ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ، فَيَرَوْنَ أَنَّ الْهَمْزَةَ وَالْهَاءَ صَوْتَانِ حِنْجَرِيَّانِ، وَأَنَّ الْعَيْنَ وَالْحَاءَ صَوْتَانِ حَلْقِيَّانِ، وَالْحِنْجَرَةُ أَعْمَقُ مِنَ الْحَلْقِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْحِنْجَرَةِ فَهُوَ أَعْمَقُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: (مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) [الْبَقَرَةُ:٤٩].

(آلٌ)، أَصْلُ الْهَمْزَةِ هَاءٌ، أَيْ: أَهْلٌ، فَأُبْدِلَتِ الْهَاءُ بِالْهَمْزَةِ؛ لِقُرْبِهَا مِنْهَا فِي الْمَخْرَجِ، ثُمَّ قُلِبَتِ الْهَمْزَتَانِ مَدَّةً؛ لِأَنَّ الْأُولَىٰ مَفْتُوحَةٌ، وَالثَّانِيَةُ سَاكِنَةٌ، وَقِيلَ: أَصْلُ (آلٍ): (أَوْلٌ) مِنْ (آلَ يَؤُولُ)؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَؤُولُ إِلَىٰ أَهْلِهِ.

قَالَ الْأَخْفَشُ: وَأَمَّا (آلُ) فَإِنَّهَا تَحْسُنُ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَىٰ اسْمٍ خَاصٍّ، نَحْوُ: (أَتَيْتُ آلَ زَيْدٍ)، وَ(أَهْلَ زَيْدٍ)، وَ(أَهْلَ مَكَّةَ)، وَ(آلَ مَكَّةَ)، وَ(أَهْلَ الْمَدِينَةِ)، وَ(آلَ الْمَدِينَةِ). وَلَوْ قُلْتَ: (أَتَيْتُ آلَ الرَّجُلِ) وَ(آلَ الْمَرْأَةِ) لَمْ يَحْسُنْ، وَلٰكِنْ: (أَتَيْتُ آلَ اللهِ) وَهُمْ زَعَمُوا أَهْلَ مَكَّةَ. وَلَيْسَ (آلُ) بِالْكَثِيرِ فِي أَسْمَاءِ الْأَرْضِينَ، وَقَدْ سَمِعْنَا مَنْ يَقُولُ ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ هَمْزَةٌ أُبْدِلَتْ مَكَانَ الْهَاءِ، مِثْلُ (هَيْهَاتَ)، وَ(أَيْهَاتَ)[٦٧].

وَقِيلَ: أَصْلُ (آلٍ): (أَوْلٌ)، مِنْ (آلَ يَؤُولُ)؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَؤُولُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَفِرْعَوْنُ أَعْجَمِيٌّ، مَعْرِفَةٌ [٦٨].

إِبْدَالُ التَّاءِ صَادًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٢٨]؛ إِذْ يَقُولُ: وَقَدْ قُرِئَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ {أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا}، وَهِيَ (أَنْ يَفْتَعِلَا)، مِنَ (الصُّلْحِ)، فَكَانَتِ التَّاءُ بَعْدَ الصَّادِ، فَلَمْ تَدْخُلِ الصَّادُ فِيهَا لِلْجَهْرِ وَالْإِطْبَاقِ. فَأَبْدَلُوا التَّاءَ صَادًا، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: (يَصْطَلِحَا)، وَهِيَ الْجَيِّدَةُ؛ لَمَّا لَمْ يُقْدَرْ عَلَىٰ إِدْغَامِ الصَّادِ فِي التَّاءِ حُوِّلَ فِي مَوْضِعِ التَّاءِ حَرْفٌ مُطْبَقٌ. (٦٩)

وَيُقْرَأُ بِتَشْدِيدِ الصَّادِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَأَصْلُهُ: (يَصْطَلِحَا)، فَأُبْدِلَتِ التَّاءُ صَادًا، وَأُدْغِمَتْ فِيهَا الْأُولَىٰ، وَقُرِئَ: (يَصْطَلِحَا) (٧٠) بِإِبْدَالِ التَّاءِ طَاءً، وَ(صُلْحًا) عَلَيْهِمَا فِي مَوْضِعِ اصْطِلَاحٍ(٧١).

وَيُصَالِحَا فَاضْمُمْ وَسَكِّنْ مُخَفِّفًا مَعَ الْقَصْرِ وَاكْسِرْ لَامَهُ ثَابِتًا تَلَا

وَالْمُسَوِّغُ الصَّوْتِيُّ فِي ذٰلِكَ أَنَّ التَّاءَ الْمُنْفَتِحَةَ إِذَا جَاوَرَتِ الصَّادَ، أَوِ الضَّادَ، أَوِ الظَّاءَ السَّوَاكِنَ، أَوِ الْمُتَحَرِّكَاتِ، يَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْ أَنْ يُسَارِعَ اللِّسَانُ بِهَا، وَيَنْطِقُهَا طَاءً، وَالْعِلَّةُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ التَّاءَ وَالطَّاءَ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَمَا يَفْرُقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ التَّاءَ مَهْمُوسَةٌ مُنْفَتِحَةٌ، وَالطَّاءُ مَجْهُورَةٌ مُطْبَقَةٌ ، وَهِيَ أَدْخَلُ فِي الْفَمِ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ الصَّادِ مِنَ التَّاءِ، وَلَا تُؤْخَذُ بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ حَرَكَةُ التَّاءِ، وَلَا يُلْتَفَتُ كَذٰلِكَ إِلَىٰ سُكُونِ الصَّادِ(٧٢).

الْخَاتِمَةُ:

أَكَّدَ كِتَابُ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ عُمْقَ فِكْرِهِ اللُّغَوِيِّ، وَتَعَدُّدَ ثَقَافَتِهِ، وَكَثْرَةَ رَوَافِدِهِ الْعِلْمِيَّةِ، فَقَدْ جَاءَتْ تَحْلِيلَاتُهُ التَّفْسِيرِيَّةُ نَابِعَةً عَنْ فِكْرٍ وَثَقَافَةٍ مُوَثَّقَةٍ بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ شِعْرٍ، وَنَثْرٍ، وَلَهَجَاتٍ. وَقَدِ اسْتَطَاعَ الْأَخْفَشُ فِي كِتَابِهِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) أَنْ يَضَعَ مَنْهَجًا دَقِيقًا إِلَىٰ حَدٍّ كَبِيرٍ، فَقَدْ كَانَ اخْتِيَارُهُ لِلْآيَاتِ الَّتِي بِهَا إِشْكَالَاتٌ، وَتَفْسِيرُهُ لَهَا مِنْ خِلَالِ مَصَادِرَ اسْتَنَدَ إِلَيْهَا، مِنْهَا: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَكَلَامُ الْعَرَبِ – شِعْرُهُ، وَنَثْرُهُ –، وَآرَاءُ شُيُوخِهِ وَمُعَاصِرِيهِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالنَّحْوِيِّينَ، فَقَدْ كَانَ مَنْهَجُهُ مَنْهَجًا لُغَوِيًّا يَعْتَمِدُ عَلَىٰ التَّجَوُّزِ وَالِاتِّسَاعِ. وَفِي النِّهَايَةِ يَسْتَنْتِجُ الْبَاحِثُ النَّتَائِجَ الآتِيَةَ فِيمَا يَخُصُّ مَسْأَلَةَ الْإِبْدَالِ – عِنْدَ الْأَخْفَشِ –، وَهِيَ خَمْسُ نَتَائِجَ رَئِيسَةٍ:

١- طَوَّرَ الْأَخْفَشُ مَسْأَلَةَ تَقْعِيدِ الْإِبْدَالِ مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالِ بَعْضِ الْمُصْطَلَحَاتِ، كَالْجَهْرِ وَالْهَمْسِ، وَظَلَّتْ هٰذِهِ الْمُصْطَلَحَاتُ مُتَدَاوِلَةً حَتَّىٰ الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ الْمُعَاصِرِ.

٢- تَمَيَّزَ الْأَخْفَشُ فِي تَحْلِيلِهِ الْبِنْيَةَ الصَّرْفِيَّةَ إِلَىٰ التَّطَرُّقِ بِشَكْلٍ مُوجَزٍ إِلَىٰ الْعِلَّةِ الصَّوْتِيَّةِ.

٣- رُبَّمَا يَصْعُبُ عَلَىٰ الْبَاحِثِينَ فِي بَادِئِ أَمْرِهِمِ الْخُرُوجُ بِالتَّحْلِيلَاتِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْأَخْفَشِ؛ لِمَا يُهَيْمِنُ عَلَيْهِمِ الْمُصْطَلَحُ الصَّوْتِيُّ الْمُتَدَاوِلُ فِي الْكُتُبِ التُّرَاثِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ الْأَخْفَشِ، وَلٰكِنْ إِذَا دَقَّقَ الْبَاحِثُ النَّظَرَ لَوَجَدَ جُذُورًا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الْإِبْدَالِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُتَوَاجِدَةً فِي كِتَابِ (مَعَانِي الْقُرْآنِ) لِلْأَخْفَشِ.

٤- لَمْ يَتَطَرَّقِ الْأَخْفَشُ إِلَىٰ مَسْأَلَةِ التَّعْقِيدِ فِي جَانِبِ تَنَاوُلِ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَاكْتَفَىٰ بِالْقِرَاءَةِ الَّتِي تَحْوِي الْمَسْأَلَةَ الَّتِي تَخْدِمُ رُؤْيَتَهُ فِي فَصْلِ الْمُفْرَدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

٥- يُوصِي الْبَاحِثُ بِأَنْ تَكُونَ هُنَاكَ دِرَاسَةٌ صَوْتِيَّةٌ عَنْ هٰذَا الْكِتَابِ؛ فَقَدْ لَحَظَ قِلَّةَ، أَوْ نُدْرَةَ التَّعَرُّضِ إِلَىٰ الْأَخْفَشِ صَوْتِيًّا.

الهوامش:

(١) أَخْبَارُ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ، ص ٣٩-٤٠.

(٢) الْمُزْهِرُ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَأَنْوَاعِهَا، ٤٥٣/٢.

(٣) طَبَقَاتُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ، الزُّبَيْدِيُّ، ٧٤/١.

(٤) الْفِهْرِسْتُ، ص ٨٣.

(٥) مُوَافَقَةُ الْأَخْفَشِ لِلْكُوفِيِّينَ فِي (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، ص ١١.

(٦) أَخْبَارُ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ، ص ٣٨.

(٧) مَجَالِسُ الْعُلَمَاءِ، ص ١٢٢.

(٨) مَنْهَجُ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ فِي الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ، ص ١٣٧.

(٩) أَخْبَارُ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ، ص ٤١.
(١٠) الْبُلْغَةُ فِي تَرَاجِمِ أَئِمَّةِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ، ص ١٤٥.
(١١) مَنْهَجُ الْأَخْفَشِ الْأَوْسَطِ فِي الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ، ص ٦٢.
(١٢) طَبَقَاتُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ، ١/٧٠.
(١٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ١/٢٥-٢٦.
(١٤) الدِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ، ص ٩١.
(١٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ١/١١٤.
(١٦) أَيْ: بِعَطْفِ (الرَّسُول) عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَلَيْسَ هٰذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخِطَابِ.
(١٧) إِنْبَاهُ الرُّوَاةِ عَلَىٰ أَنْبَاهِ النُّحَاةِ، الْقَفْطِيُّ، ١/٤.
(١٨) كِتَابُ الْعَيْنِ، ١/٥٧ – ٥٨.
(١٩) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ٢/٥٨١.
(٢٠) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ١/٢٧٩.
(٢١)الرجز لامرئ القيس في ديوانه ص ١٣٤، ولسان العرب ١/ ٦٨ (خطأ)، ١١/ ١٧٤ (حلل)، والأغاني ٩/ ٨٧، وخزانة الأدب ١/ ٣٣٣، وشرح شذور الذهب ص ٤٩٨، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٧٣، ومعجم ما استعجم ص ٥٦، وتهذيب اللغة ٣/ ٤٤١، ٧/ ٤٩٧، ٤٩٨، وتاج العروس ١/ ٢١٢ (خطأ)، (كهل)، وأساس البلاغة (خطأ)، وجمهرة اللغة ص ١٢١٠، وديوان الأدب ١/ ١٢١، والمخصص ١٦/ ١٥، وبلا نسبة في الدرر ٥/ ٢٦٨، وهمع الهوامع ٢/ ٩٦.
(٢٢) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة في لسان العرب ٤/ ٢٧ (أمر)؛ وتاج العروس ١٠/ ٨٣ (أمر).
(٢٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ٢/٤٢٢ – ٤٢٣.
(٢٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٢/٤٢٨.
(٢٥) مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ، مَادَّةُ: (بدل).
(٢٦) الْمُخَصَّصُ، ٤/١٧٩.
(٢٧) ظَاهِرَةُ الْإِبْدَالِ بَيْنَ الصَّوَامِتِ، ص ٣٣٧.
(٢٨) شَرْحُ الْمُفَصَّلِ، ٥/٣٤٧.
(٢٩) الصَّاحِبِيُّ، ص ١٥٤.
(٣٠) اللَّهَجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ نَشْأَةً وَتَطَوُّرًا، ص ١٢٠.
(٣١) اللَّهَجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي رِوَايَاتِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ص ١١.
(٣٢) اللَّهَجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ، د. إِبْرَاهِيمُ نَجَا، ص ٧١.

(٣٣) عِلْمُ الصَّرْفِ الصَّوْتِيُّ، ص ٤٤٠، ٤٤١.
(٣٤) الْقِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ دِرَاسَةٌ صَوْتِيَّةٌ وَدَلَالِيَّةٌ، ٢٦٦/١.
(٣٥) هَمْعُ الْهَوَامِعِ، ٤٦٦/٣.
(٣٦) أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ، ص ٧٥.
(٣٧) مِنْ أَسْرَارِ اللُّغَةِ، ص٧٥.
(٣٨) اللَّهَجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي رِوَايَاتِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ص ١٨، وَدِرَاسَاتٌ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ، ص ٢١٣.
(٣٩) الِاشْتِقَاقُ، ص ٣٥٢.
(٤٠) الْأَصْوَاتُ اللُّغَوِيَّةُ، ص ١٩، وَمَا بَعْدَهَا بِتَصَرُّفٍ.
(٤١) مُقَدِّمَةٌ فِي أَصْوَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ص ١١٢، ١١٣.
(٤٢) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص ١١٣، وَعِلْمُ الصَّوْتِيَّاتِ، ص ٢٦٥.
(٤٣) شَرْحُ الْمُقَدِّمَةِ الْجَزْرِيَّةِ، ص ٥١، وَالزَّائِدُ ص٤٤.
(٤٤) الْأَصْوَاتُ اللُّغَوِيَّةُ، ص ٢٣ وَمَا بَعْدَهَا بِتَصَرُّفٍ، وَدُرُوسٌ فِي عِلْمِ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، صى٢٤، وَالدِّرَاسَاتُ الصَّوْتِيَّةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّجْوِيدِ، ص ١٤٠، وَعِلْمُ الصَّوْتِيَّاتِ، د. عَلَّام، وَد. عَبْدُاللهِ رَبِيعٍ، ص ٢٦٦، وَمُقَدِّمَةٌ فِي أَصْوَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ص ١١٣، وَعِلْمُ اللُّغَةِ وَالْأَصْوَاتِ، ص ١٢٦.
(٤٥) الْمَدْخَلُ إِلَىٰ عِلْمِ اللُّغَةِ، ص ٤١، وَدِرَاسَات صَوْتِيَّةٌ، د. تَغْرِيدُ عَنْبَرَ، ص ٢٢٤، وَمُقَدِّمَةٌ فِي أَصْوَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفَنِّ الْأَدَاءِ الْقُرْآنِيِّ، ص ١١٣.
(٤٦) دِرَاسَاتٌ فِي عِلْمِ الصَّوْتِيَّاتِ، د. أَبُو السُّعُودِ الْفَخْرَانِيُّ، ص ١٤٠.
(٤٧) عِلْمُ اللُّغَةِ الْعَامُّ وَالْأَصْوَاتِ، د. كَمَالُ بِشْرٍ، ص ١٢٢ بِتَصَرُّفٍ.
(٤٨) الْمَدْخَلُ إِلَىٰ عِلْمِ اللُّغَةِ، د. رَمَضَانُ عَبْدُالتَّوَّابِ، ص ٣٧ بِتَصَرُّفٍ.
(٤٩) مُقَدِّمَةٌ فِي أَصْوَاتِ اللُّغَةِ، ص ١١٨.
(٥٠) مُعْجَمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، ٤٨/١.
(٥١) كَانْتِينُو، جَان، (cours de phonétique arabe)، نَقْلًا عَنْ عَبْدِالصَّبُورِ شَاهِينَ، الْقِرَاءَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ، ص.١٨.
(٥٢) سِرُّ صِنَاعَةُ الْإِعْرَابِ، ٨٣/١.
(٥٣) إِنَّ مُشْكِلَةَ الِالْتِبَاسِ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْأَلِفِ بَدَأَتْ مُنْذُ بِدَايَةِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ؛ إِذْ تَمَّ الِاكْتِفَاءُ بِرَمْزِ الْأَلِفِ دَلِيلًا عَلَىٰ صَوْتَيِ الْأَلِفِ اللَّيِّنَةِ الَّتِي هِيَ مَدَّةٌ، وَالْهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَلِفٍ مُتَحَرِّكَةٍ، إِنَّ هٰذَا التَّدَاخُلَ حُظِيَ بِعِنَايَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ نَظَرًا لِمَا يُثِيرُهُ مِنْ قَضَايَا تَتَعَلَّقُ بِالْمُصْطَلَحِ وَالْبِنْيَةِ الشَّكْلِيَّةِ وَالْوَظِيفَةِ، لٰكِنْ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الْفُونُولُوجِيِّ نَجِدُ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ مَنْ حَاوَلَ أَنْ يَضَعَ الْحَدَّ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ،

فَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ الْفَرَّاءُ كَمَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا: "تُرَادِفُ الْهَمْزَةُ الْأَلِفَ، لٰكِنَّ الْهَمْزَةَ هِيَ الْأَصْلُ، وَالْأَلِفُ السَّاكِنَةُ هِيَ الْهَمْزَةُ، تُرِكَ هَمْزُهَا"، وَبِالتَّالِي يَرَىٰ الْفَرَّاءُ أَنَّ الْهَمْزَةَ حَرْفٌ مُسْتَقِلٌّ بِذَاتِهِ، أَمَّا الْأَلِفُ فَهِيَ حَرْفٌ فَرْعِيٌّ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِذَاتِهِ.

(٥٤) دِرَاسَاتٌ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ، ص ٥٧.

(٥٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٤٥/١.

(٥٦) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٢٢٨/١.

(٥٧) الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ، ١٢٦/٨.

(٥٨) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٢٨/١.

(٥٩) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٣٩٨/١.

(٦٠) الْمَنْهَجُ الصَّوْتِيُّ لِلْبِنْيَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ص ٢٠٨.

(٦١) بُحُوثٌ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ الْعَرَبِيِّ، ص ١٣٨.

(٦٢) دِرَاسَةُ الصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ، ص ٣٨٨.

(٦٣) اللُّغَةُ، فِنْدَرِيسُ، ص ٣٩.

(٦٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٥٥/١. نُسِبَتْ إِلَىٰ الْحَسَنِ، اُنْظُرْ: مَعَانِيَ الزَّجَّاجِ ١/ ٩٥، وَإِعْرَابَ النَّحَّاسِ ١/ ١٤٥، وَزَادَ الْمَسِيرِ ١/ ٤٥، وَالْإِتْحَافَ ١/ ٣٨١.

(٦٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ١٦٤/١.

(٦٦) أَصْوَاتُ اللُّغَةِ، مَخَارِجُهَا وَصِفَاتُهَا، ص ٢٧٥.

(٦٧) دِرَاسَةُ الصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ، ص ٣١٩، وَالْمُحِيطُ فِي أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ ٢٨/١، وَاسْتِخْدَامَاتُ الْحُرُوفِ، ص ١١٤.

(٦٨) الْكِتَابُ، ٤٣٣/٤.

(٦٩) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٩٧/١.

(٧٠) الْكِتَابُ، ٤٣٤/٤، ٤٣٣، وَسِرُّ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ، ٢٠٣/٢.

(٧١) مَعَانِي الْقُرْآنِ، ٣٩٨/١.

(٧٢) هِيَ قِرَاءَةُ أَكْثَرِ الْعَشَرَةِ، قَرَأَ بِهَا الْمَدَنِيَّانِ، وَالِابْنَانِ، وَالْبَصَرِيَّانِ، السَّبْعَةُ، ص ٢٣٨، وَالْحُجَّةُ ٣/ ١٨٣، وَالْمَبْسُوطُ ص ١٨٢، وَالتَّذْكِرَةُ ٢/ ٣١٠.

(٧٣) التِّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٣٦٥/١.

(٧٤) أَصْوَاتُ اللُّغَةِ، ص ٢٧٥.

الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ:

- أَخبارُ النَّحْويينَ البصرينَ، السيرافي، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
- أخبار النحويين البصرين ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي،مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
- أصوات اللغة ، د/ عبد الرحمن أيوب ، الكيلانى، الطبعة الثانية ١٩٦٨م.
- أصوات اللغة العربية ، د/ عبد الغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- أصوات اللغة العربية ، د/ محمد حسن جبل ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .
- أَصوات اللغة، مخارجها وصفاتها وشوائبها بين الدرس الصوتي، والأداء القرآني، دراسة مقارنة، فارس الطائي، مطبعة إيلاف، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
- الأصوات اللغوية ، د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب١٤١١هـ –١٩٩١م .
- الأصوات اللغوية ، د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب١٤١١هـ –١٩٩١م.
- أصولُ اللغةِ والنحو بين الأخفش والفراء من خلال كتابيهما"معاني القرآن"أحمد الشايب عرباوي، رسالة دكتوراه، إشراف محمد خان، جامعة خضير – بسكرة – الجزائر ٢٠١٤.
- ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، دار التعاون.
- انباهُ الرواة على أنباه النحاة،القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي، المماثلة والمحالفة، جيلالي بن يشو، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٦.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، عيسى شحاته عيسى، دار قباء لتوزيع والنشر – القاهرة، ٢٠٠١.
- دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.
- ظاهرة الإبدال بين الصوامت مقاربة صوتية دلالية في ضوء علم الأصوات الوظيفي، عمر بوبفار، جامعة ورقلة، مجلة الذاكرة، العدد:٥.
- علم الصرف الصوتي، عبدالقادر عبدالجليل، دار أزمنة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- الفهرست،ابن النديم ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٨.
- القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية.حمدي سلطان أحمد العدوي،تقديم: محمد حسن جبل ، و سامي عبد الفتاح، دار الصحابة، مصر، ط:٠١ ،١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية.
- مجالس العلماء، أبو القاسم بن إسحاق الزجاج، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، حكومة الكويت.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- مراتب النحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن على اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة القاهرة مصر.
- المزهرُ في علومِ اللُّغةِ وأنواعِها، السيوطي، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.
- معاني القرآن، الأخفش، تحقيق فايز فارس، مقدمة التحقيق، دار البشير والأمل بالكويت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان ، ط:١٤١١،٠١هـ .١٩٩١م.

- مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني ص ١١٢، ١١٣، دراسات صوتية د / تغريد عنبر ص ٢٢٤.
- منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية، عبد الأمير محمد أمين الورد، مؤسسة الأعلى، بيروت مكتبة دار التربية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٥.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، د/عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م،
- موافقة الأخفش للكوفيين في معاني القرآن، حسن عبد المنعم عربود، دار النهضة العربية، القاهرة.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.